

إشكالية الوطن والوطنية والمواطنة

الدكتور يوسف القرضاوي

رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين



فهم من (أهل الدار) وإن لم يكونوا من (أهل الملة).

وفي اجتهادي: أن كلمة (أهل الدار) هذه تمثّل مفتاحاً للمشكلة، مشكلة المواطنة، لأن معنى أنهم (أهل الدار) أنهم ليسوا غرباء ولا أجنب، لأن حقيقة معناها: أنهم أهل الوطن، وهل الوطن إلا الدار أو الديار؟

وإذا ثبت أنهم أهل الوطن، فهم (مواطنون) كغيرهم من شركائهم من المسلمين.

وبهذا تحلّ هذه الإشكالية من

فكرة الانتماء إلى الإسلام، وإلى أمة الإسلام، وإلى دار الإسلام، التي كانت سائدة في القرون الماضية منذ عصر النبوة، فعصر الراشدين، فعصور العباسيين والعثمانيين: قد لا تكون مقبولة عند غير المسلمين. على أساس أن أصل هذا الانتماء ديني، ينطلق من القرآن والسنة.

هذا مع أن فقهاء المذاهب المختلفة جميعاً، قرّروا: أن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وهم الذين يعبر عنهم في الاصطلاح الفقهي بـ(أهل الذمة) يعدّون من (أهل دار الإسلام).

صحيح، إلا في القليل من النُخب. فما زال سلطان الدين قائماً لدى الجمهور الأعظم من الناس.

فكيف تحلُّ مشكلة الأقلية، ونخلق في الوقت نفسه مشكلة عند الأكثرية؟ وما يضير غير المسلم أن يكون مواطناً في (دار الإسلام) سواء كانت دار الإسلام الكبرى، التي تشمل كلَّ ديار الإسلام حين تضمُّهم قيادة (خلافة) واحدة، أو (دار الإسلام) المحدودة بحدود إقليم أو قطر معيَّن.

ربما يكون الإشكال هنا، هو التخوُّف من عدم تطبيق مبدأ المساواة على الجميع، وتمييز المسلم على غير المسلم في مجالات معيَّنة، في حين أن المواطنة تفترض المساواة بين جميع المواطنين.

وهذا التخوُّف وارد، وله ما يبرره، ولهذا يلزمنا فقها: أن نقرّر فكرة المساواة بين أبناء دار الإسلام على أساس مبدأ: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا. ولا تمييز إلا فيما تقتضيه طبيعة

داخل الفقه الإسلامي، دون الحاجة إلى استيراد مفهوم المواطنة من سوق الفكر الغربي.

فإن هذا المفهوم المستورد قد يحلُّ مشكلة الأقليات الدينية من مسيحية ويهودية ومجوسية ونحوها، ولكنه ينشئ مشكلة عند المسلم، إذ يفرض عليه الانفصال عن انتمائه الديني، وولائه الديني. وهو أمر يدخل في الفرائض، بل ربما في العقائد.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ءَأُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾ النساء: ١٤٤، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ التوبة: ٢٣، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة: ٥١.

والظنُّ بأن الدين لم يعد أساساً في حياة الناس، بعد أن غزته الأفكار العلمانية والليبرالية والماركسية ظنٌّ غير

الخلاف الديني.

(الأخوة) أي الانتماء إلى أسرة واحدة.

وقد يعترض بعض الإسلاميين من الحرفيين والمتشددّين على إطلاق الأخوة خارج الإطار الديني. فليس عندهم أخوة إلا أخوة الإيمان، أي الأخوة الدينية، ولا اعتراف بأيّ أخوة سواها.

ودليلهم على ذلك قول الله تعالى:
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات:
١٠، وقوله عن المؤمنين: ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ آل عمران: ١٠٣.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم:
((المسلم أخو المسلم))^(٢).

ونحن نؤمن بأصالة الأخوة الدينية القائمة على الإيمان، ونرى أنها أعمق أنواع الأخوات. كما عرفنا ذلك في سيرة الصحابة والمسلمين الأول، وكيف فاقت هذه الأخوة أخوة النسب والدم في وقائع شتى.

ونرى هذه الأخوة تذيب كلّ الفوارق بين الناس، من عنصرية ولونية وإقليمية

ولا بد من حذف كلمات ومصطلحات تاريخية من قاموس التعامل المعاصر، مثل كلمة (ذمة) و(أهل ذمة) التي لم يعد يقبلها غير المسلمين. فلم يتعبّدنا الله بهذه الكلمات، وقد حذف عمر ما هو أهم منها، حين اقتضت المصلحة العليا ذلك، فحذف كلمة (جزية) حين طلب منه ذلك نصارى بني تغلب، وقالوا: إننا قوم عرب، ونأنف من كلمة (جزية)، ونريد أن نأخذ ما تأخذ منا باسم (الصدقة)^(١). ورضي منهم ذلك، معتبرا أن العبرة بالمسمّيات والمضامين، لا بالأسماء والعناوين.

الأخوة الوطنية: بل أقول: إن الاشتراك في الوطن يفرض نوعا من الترابط بين المواطنين بعضهم وبعض، يمكن أن نسمّيه (الأخوة الوطنية) فكلّ مواطن أخ لمواطنه، وهذه الأخوة توجب له من حقوق المعاونة والمناصرة والتكافل ما يستلزمه معنى

الدين؟

قلت: نعم، هناك الأخوة الوطنية،
والأخوة القومية، والأخوة المهنية،
والأخوة الإنسانية... إلخ.

قال: وما الدليل الشرعي على ذلك؟

قلت: الدليل على هذه الأخوات:
وجودها في عالم الناس وواقعهم.
وإن كان ولا بد من دليل من نصوص
الشرع، فهذا أنا أسوقه إليك من القرآن
الكريم.

اقرأ معي قول الله تعالى في سورة
الشعراء: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيَّ الْمُرْسَلِينَ ۚ (١٠٥)
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ الشعراء:
١٠٥ - ١٠٦.

﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ۚ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ الشعراء: ١٢٣ -
١٢٤.

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۚ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ الشعراء: ١٤١ -
١٤٢.

ولغوية وطبقية، وتعلي عنصر الدين
على كل هذه الأشياء، فترى المؤمنين
في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل
الجسد الواحد، يألم سائر الجسد إذا
اشتكى عضو منه^(٣). وترى المؤمن
الأبيض في أوربا يشعر بأخوة عميقة
بينه وبين المؤمن الأسود في إفريقيا،
فقد ربط بينهما الإيمان الواحد.

ومع اعترافنا بذلك نؤكد: أن هذه
الأخوة على عمقها، لا تمنع من وجود
أنواع آخر من الأخوات. مثل الأخوة
الوطنية أو القومية، ومثل الأخوة
الإنسانية.

وقد ناقشني أحد المتشددین يوماً،
معتزلاً على قلبي: (إخواننا الأقباط).
بأن الأخوة إنما تكون بين المسلمين
بعضهم وبعض، والأقباط نصارى،
فكيف يكونون إخواننا؟

قلت له: إن الأقباط إخواننا في
الوطن، وإن لم يكونوا إخواننا في
الدين، يجمعنا وإياهم وطن واحد.

قال: وهل هناك أخوة غير أخوة

فهذا يدلنا على أن الأخوة ليست دائما دينية، بل قد تكون وطنية أو قومية، أو غيرها.

وهنا لم يجد المعارض بُدًّا من التسليم، وهل يعارض مسلم دلالة القرآن الكريم؟

وإذا ثبتت الأخوة، فقد ثبت ما تقتضيه وتستلزمه من المحبة والمساواة والتضامن، إذ لا معنى للأخوة بغير هذا.

متى تحدث الإشكالية في قضية الوطنية والمواطنة؟ ما ذكرناه إذن حول قضية الوطن والوطنية والمواطنة: مُسلمٌ به في الجملة على الأقل، ولا ينبغي أن يختلف فيه إسلامي وغير إسلامي.

فمتى تحدث الإشكالية بين الطرفين، بحيث يدوان وكأنهما خصمان؟ ولماذا تحدث هذه الإشكالية؟

إنها تحدث لعدة أسباب يمكن التغلب عليها كلّها بيسر، إذا صفت

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿ الشعراء: ١٦٠ - ١٦١.

فكل هؤلاء الأقوام كذبوا رسلهم وكفروا بهم، ومع هذا عبّر القرآن عن علاقة رسلهم بهم بأنه علاقة (الأخوة) + قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ". وذلك لأن هؤلاء الرسل كانوا منهم، ولم يكونوا أجنب عنهم، فتربطهم أخوة قومية.

وفي هذه السورة نفسها عرضت قصة شعيب مع أصحاب الأيكة فقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿ الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧. ولم يقل كما قال في الرسل السابقين: إذ قال لهم أخوهم شعيب، لماذا؟ لأن شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة، بل كان غريبا عنهم، وإنما كان من مدين، فهم قومه وليسوا أصحاب الأيكة، ولهذا قال في سورة الأعراف وفي سورة هود وفي سورة العنكبوت: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ الأعراف: ٨٥.

النِّيات، وصحَّت العزائم.

والولاء له.

1. عند تعارض الولاءات

والانتماءات: فالإنسان في واقع الأمر ليس له انتماء واحد، فقد تتعدّد انتماءات الإنسان باعتبارات شتّى، ولا نجد أيّ تناقض بينهما.

فالإنسان ينتمي إلى أسرته، وينتمي إلى قريته، وينتمي إلى محافظته، وينتمي إلى قطره أو وطنه، وينتمي إلى إقليمه، وينتمي إلى قارّته، وينتمي إلى دينه، وينتمي إلى أمّته (الكبرى المؤسّسة على الدين)، وينتمي إلى الأسرة الإنسانية.

ولا حرج في ذلك ولا ضير، فهذه الانتماءات غير متعارضة ولا متناقضة، بل هي تعبّر عن حقائق قائمة بالفعل، والعلاقة فيما بينها علاقة الخاص بالعام، والأخصّ بالأعمّ، وما بينهما.

إنما تحدث الإشكالية حين يتعارض الانتماء إلى الوطن والولاء له، مع انتماءات وولاءات أخرى يلتزم بها الإنسان.

وذلك مثل: الانتماء إلى الدين

ومثل: الانتماء إلى القوم والولاء لهم.

ومثل: الانتماء إلى البشرية والولاء لها.

فأيّ هذه الولاءات والانتماءات أولى بالتقديم على غيرها؟ أعني: إذا تعارض الولاء للوطن والولاء للدين، فأيهما يقدم، وبأيّهما نضحي؟

الذي يظهر في هذه الحالة: أنه في حالة التعارض بين الدين والوطن، فإن الدين هو المقدّم، لأن الوطن له بديل، والدين لا بديل له.

ولهذا رأينا الرسول الكريم وأصحابه حين تعارض الدين والوطن: هاجروا في سبيل الله وضحّوا بالوطن الذي ضاق بعقيدتهم، وصادر دعوتهم، وفتنهم في دينهم. كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج: ٤٠).

وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ

ورسوله: يجب أن ترجح كفته على كل الروابط والقيم الأخرى، بما في ذلك الآباء والأبناء، والإخوة، والأزواج، والعشيرة، والأموال، والتجارة، والمساكن التي يرضونها. وهذه العبارة تعبر عن الأوطان التي رضوها وارتبطوا بها مادياً وعاطفياً.

2. اقتران الوطنية بالعلمانية:

وتحدث المشكلة لدى بعض الإسلاميين، فتراهم يعارضون أو يتحفظون على فكرة (الوطنية) انطلاقاً من أن (الوطنية) مسكونة بـ(العلمانية) التي تفصل الدين عن الدولة، بل عن الحياة. على خلاف ما هو معروف عن شمولية الإسلام، الذي عرفه الناس من مصادره الأصيلة: عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، دعوة ودولة، ديناً ودنياً. وعرفوا: أن الدين هو إحدى الضروريات أو الكليات الخمس التي جاءت بها الشريعة، التي شرعها الله لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿الحشر: ٨﴾

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَلَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿الحج: ٥٨﴾

وقد بين القرآن الكريم في

مفصلة واضحة وحاسمة: أن دين المسلم أعز عليه، وأحب إليه من كل شيء سواه، مما يعتز به الناس ويحرصون عليه، وذلك في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿التوبة: ٢٤﴾

وبهذا يتبين بما لا شك فيه: أن دين المسلم المعبر عنه بحب الله

الدينون في شتى البلدان.

ومثل ذلك: النزعات القومية،

فليست القومية في ذاتها علمانية، ولكن دعاة القومية في بعض الأوقات كانوا علمانيين، ليبراليين أو ماركسيين، فظنَّ مَنْ ظنَّ: أن القومية لا بد أن تكون علمانية.

وليس من الضروري أبدا أن تكون الوطنية أو القومية علمانية.

3. الفلو في الوطنية حتى تصبح

بديلا عن الدين: وتحدث المشكلة

أيضا حين يغلو بعض الوطنيين في فكرة الوطنية، أو عاطفة الوطنية، حيث نرى بعضهم يجعلون الوطن مقابل (الدين) أو بديلا عن الدين، وإن شئت قلت: مقابل (الله) أو بديلا عن (الله)، فكما تبدأ الأمور (باسم الله) تبدأ باسم الوطن، وكما يُقسم الناس بالله، يُقسمون بالوطن، وكما يعمل الناس لوجه الله، يعملون لوجه الوطن!!

وكأن الوطن أصبح إلها، أو وثنا يشركونه مع الله عز وجل. مع أن

ونقول هنا: إن الوطنية في ذاتها لا تحمل أي مضمون أيديولوجي، لا مضمون (ديني) ولا (لاديني) (علماني)، بل هي محايدة، وقابلة لأن تحمل ما تحمّل، من حقٍّ أو باطل.

وليست كل النزعات الوطنية التي رأيناها علمانية، بل رأينا نزعات وطنية مُشبعة بالروح الإسلامية، مثل: (وطنية مصطفى كامل) الذي كان متعاطفا مع دولة الخلافة الإسلامية، ومثل حركات التحرُّر الوطني في كثير من الأقطار الإسلامية، فقد كانت هذه الحركات التي قامت لمحاربة الاستعمار، وطرده من بلادها، والحصول على السيادة والحرية: ذات جذور إسلامية، وحوافز إسلامية، كما في الجزائر وبلاد الشمال الإفريقي العربي، وكثير من البلاد في آسيا وإفريقيا، وهو ما اعترف به المؤرخ الأمريكي المعروف (برنارد لويس) في كتابه (الغرب والشرق الأوسط) بأن حركات التحرير في البلاد الإسلامية المختلفة، كان يقودها ويوجهها الزعماء

إليه.

وأذكر أننا حين كنا تلاميذ بالمدارس
الأولية، كانوا يحفظوننا نشيدا وطنيا
حماسيا، لا أدري من أنشأه، وهو
يقول:

بلادي، بلادي، فداك دمي
وهبت حياتي فدا، فاسلمي
غرامك أول ما في الفؤاد

ونجواك آخر ما في فمي
وقد سمعتُ شيخنا الشيخ محمد
الغزالي يعلّق على هذا النشيد، وهذا
البيت منه فيقول رحمه الله: فماذا
بقي من فؤاد هذا القائل ومن فمه لله
خالقه؟

(الوطنية) مشروعة ومطلوبة إذا لم
تتّجه هذا الاتجاه الغالي، فإن الغلو في
كلّ شيء يفسده، وقد رأينا الإسلام
يحذر أشدّ التحذير من الغلو في الدين.
وكذلك الغلو في الوطن والوطنية.
ومما يذكر هنا أن أمير الشعراء أحمد

المسلم قد جعل محياه ومماته كما
جعل صلاته ونسكه لله، كما قال تعالى
لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام:
١٦٢

والحسّ الديني عند المسلم يرفض
أن يقرن باسم الله اسما آخر، أو يُقسم
بأحد أو بشيء مع الله، أو يعمل عملا
لوجه غير وجه الله، ناهيك أن يفرد.

ولقد رأينا النزعة الوطنية، حين
تمزّقت مظلة الخلافة الإسلامية،
وانفرط عقد الأمة الواحدة، والدولة
الواحدة، لتصبح أمما أو أمميات، أو
دولا أو دويلات! تحاول كل دولة
أن تعزّز وجودها (الوطني) الجديد،
بفلسفة جديدة، ومفاهيم جديدة، يراد
بها أن تبدّل الولاء لله ولرسوله وللأمة
المسلمة الكبرى، لتجعل بدله الولاء
للوطن الصغير، الذي يُنبئ عنه علم
خاص، واسم خاص، وحدود خاصّة،
وتُنشد له الأشعار، وتُنشأ له الأناشيد،
لتعلّق القلوب به، وتتّجه المشاعر

شوقي برغم نزعته الإسلامية الواضحة،
وبرغم قصيدته في نعي الخلافة الإسلامية
حين ألغيت، وهي من روائع الشعر، الذي
أوصي الشباب بحفظه⁽⁴⁾، أراه أحياناً يبالغ
في الوطنية، مثل قوله:

وطني لو شغلْتُ بالخلد عنه

نازعتني إليه بالخلد نفسي!

وأشد منه قوله يخاطب أبنا مصر:

وَجْهُ الْكِنَانَةِ لَيْسَ يُغْضِبُ رَبُّكُمْ

أَنْ تَجْعَلُوهُ كَوَجْهِهِ مَعْبُوداً

وَلَوْ أَلِيَهُ فِي النَّهَارِ وُجُوهُكُمْ

وَإِذَا فَرَعْتُمْ وَاعْبُدُوهُ هُجُوداً

بل رأينا بعض الغلاة من العرب
يقدّم الوطن على الدين بصراحة،
ويجعل كلمة الوطن هي العليا، وليست
كلمة الله، ولا يبالي بما يؤمن به الناس
من العقائد الدينية، ولا ما يحسّون به
من المشاعر الدينية. يقول

بلادك قدّمها على كلّ ملّة

ومن أجلها أفطر، ومن أجلها صم!

هبوني ديناً يمنح العرب وحدة

وسيروا بجثمانني على دين برهم!

سلام على كفر يوحد بيننا

وأهلاً وسهلاً بعده بجهَنم!⁽⁵⁾

4. عندما تتحوّل الوطنية إلى

عصبية جاهلية: وتحدث المشكلة

كذلك عندما تتحوّل النزعة الوطنية إلى

عصبية جاهلية، يتجمّع فيها أهل الوطن

ضدّ غيرهم، وينحازون فيها بعضهم

لبعض، ينصر أخاه في الوطن ظالماً

أو مظلوماً، ويستجيب له إذا دعاه في

الحقّ أو الباطل. على نحو ما قيل في

وصف أحد زعماء قبائل العرب: إذا

غضب، غضب له مائة ألف سيف، لا

يسألونه فيم غضب؟!

وكما وصف أحد الشعراء أبناء

قبيلته بقوله:

لا يسألون أخاهم حين يندُبهم

في النائبات على ما قال برهانا

فالمصيبة: أن تعين أهلك وقومك

شهيدا لله، ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين، وكذلك لا يجرمه شأن قوم على أن لا يعدل، بل يجب أن يقوم بالقسط مع من يحب، ومع من يكره. فعدل الله لجميع عباد الله.

ومن هنا أنكر الإسلام العصبية بكل أنواعها، سواء كانت عصبية قبلية، أم عصبية قومية، أم عصبية إقليمية، أم أي عصبية كانت.

روى الإمام مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة، عن النبي أنه قال: ((مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عُمَيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقَتِلَ، فَقَتَلْتَهُ جَاهِلِيَّةً))⁽⁶⁾.

على ظلم الآخرين، وأن تشهد لهم على الآخرين محققين كانوا أم مبطلين، وأن تقول ما قال أتباع المتنبيين الكذبة من قبائل العرب أيام حروب الردة: "كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مُضَر".

هكذا تكون العصبية القومية، وكذلك تكون العصبية الوطنية، كما رأينا ذلك في النزعات النازية والفاشية في أوروبا في أواسط القرن العشرين، من رفع شعارات: ألمانيا فوق الجميع، وإيطاليا فوق الجميع.

والإسلام يعلم المسلم: أن يدور مع الحق حيث دار، وأن يقول الحق وإن كان مرأا، وأن يكون قوَّاما بالقسط

الإحالات

(1) روى عبد الرزاق في أهل الكتاب (99/6)، عن زياد بن حدير - وكان زياد يومئذ حيا - أن عمر بعثه مصدقا، فأمره: أن يأخذ من نصارى بني تغلب العشر، ومن نصارى العرب نصف العشر. وروى البيهقي في الكبرى كتاب السير (216/9)، عن عبادة بن النعمان التغلبي، أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب من قد علمت شوكتهم وإنهم بإزاء العدو، فإن

ظاهروا عليك العدو اشتدت مؤنتهم، فإن رأيت أن تعطيتهم شيئاً. قال: فافعل. قال: فصالحهم على أن لا يغمسوا أحداً من أولادهم في النصرانية، وتضاعف عليهم الصدقة. قال: وكان عبادة يقول: قد فعلوا ولا عهد لهم. وانظر: أحاديث الباب في البيهقي، باب نصارى العرب تضعف عليهم الصدقة. (2) سبق تخريجه.

(3) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (6011)، ومسلم في البر والصلة والآداب (2586)، وأحمد في المسند (18373).

(4) ومطلعها:

عادت أغاني العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت في يوم الزفاف بثوبه
ودُفنت عند تبلج الإصباح

(5) الأبيات للشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري.

(6) رواه مسلم في الإمارة (1848)، وأحمد في المسند (7944)، والنسائي في تحريم الدم (4114)، وابن ماجه في الفتن (3948)، عن أبي هريرة.

